برنارد لويس و مشروعه الاستشراقي لتفتيت العالمين العربي و الإسلامي دراسة تاريخية تحليلة

ا.م.د. فيصل عبد الجبار عبد علي
جامعة كربلاء / المكتبة المركزية

الخلاصة

إن دراسة برنارد لويس وتحديد اتجاهاته الفكرية و السياسية تتم من خلال الدراسة التاريخية للإستشراق , و الذي يعد حتى الان أحد المنافذ التي ينظر بها الغرب الى الشرق و لاسيما الإسلامي و العربي . وان القوى الإمبريالية قد استخدمت الاستشراق كأحدى أدوات الهيمنة و ليس كأداة ثقافية معرفية فحسب , و لاسيما الاستشراق الأنكلو–سكسوني . و قد شهد النصف الثاني من القرن العشرين توسعاً في انتاج المعرفة الإستشراقية و خصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا , حيث شكل (الاستشراق البريطاني و الأمريكي) الخلفية التاريخية لاستشراق برنارد لويس .

تخصص لويس بدراسة التاريخ الاسلامي , وكان له موقفاً من العقائد و الفرق الإسلامية . كما أنه يرى أن التحديث و أهم مظاهره (الديمقراطية) غير ممكن في العالم الإسلامي بسبب الدين .

ويلاحظ على يهودية برنارد لويس و صهيونيته أنها شكلت ارتباطاً وثيقاً بقضية فلسطين لما لهذه القضية من أهمية بالنسبة للعرب و المسلمين . و أن أهم طروحات لويس الفكرية الخطيرة أنه يرى أن العالم الاسلامي و الحضارة الإسلامية الممتدة من المحيط الأطلسي حتى أواسط اسيا ذات تنوع و تعدد عرقي يحتوي على احتمالات عدة قد لا تكون الى جانب الغرب , لذلك طالب لويس بتمزيق الحضارة الإسلامية من خلال المخطط الذي و ضعه لتفتيت العالم الإسلامي , و الذي تبنته الإدارة الأمريكية منذ مطلع هذا القرن , وهو الذي يمثل قمة الأزمة التاريخية بين عالمي العرب و الإسلام و عالم الغرب .

طروحات لويس هذه أثارت جدلاً كبيراً بين الباحثين في مختلف مجالات المعرفة , لذلك لابد من التوقف عند هذه الطروحات من منظور تاريخي ووجهات نظر الباحثين و المفكرين فيها.

Abstract

The study of Bernard Lewis and identifying of his intellectual and political trends is carried out through the historical study of Orientalism, which is considered so far as one of the ways that West are perceiving to the East through , especially the Islamic and Arabian world . The imperialist powers have used Orientalism as an instrument of domination not as cultural knowledge tool only, particularly for Anglo - Saxon Orientalism . The second half of the twentieth century an expansion in the product of orientalist knowledge, especially in the United States and Britain, where the (British and American Orientalism) has formed the historical background of Bernard Lewis's Orientalism. .

Lewis has specialized in the study of Islamic history , He had a view about the Islamic doctrines and sects . He also thinks that the modernization in its most important manifestations (democracy) is not possible in the Islamic world because of religion.

It is clearly seen on the Judaism and Zionism of Lewis Bernard that it has formed a close connection to the issue of Palestine due to the importance of this issue for Arabs and Muslims. One of the most important arguments of Lewis'sserious intellectual arguments is that he thinks that the Islamic world and Islamic civilization which is stretched from the Atlantic Ocean to Central Asia with a diversity and ethnic multiplicity includingseveral prospects may not be to the interest of west , So Lewis has called for tearing of the Islamic civilization through thescheme put to the fragmentation of the Islamic world, which been adopted by the U.S. Government since the beginning of this century, and that represents the peak of the historical crisis between the Islamic Arabian world and the Western world.

Lewis's narratives has waged a big debate among researchers in different fields of knowledge, so stallingmust be done at these prospects from a historical perspective and the views of researchers and thinkers about .

مقدمة

كان الإستشراقولا يزال يمثل أحد العيون التي ينظر بها الغرب الى الشرق وبشكل خاص الشرق الإسلامي و العربي . وان يهودية برنارد لويس و ربما صهيونيته تشكل ارتباطاً بقضية العرب و المسلمين المركزية وهي قضية فلسطين بما تمثله من رمز مادي و معنوي للشرق بصورة عامة .

من هنا جاءت أهمية تناول هذا الموضوع لتسليط الضوء على خطورة طروحات برنارد لويس الخطيرة , و هو المستشرق اللامع و المسموع الرأي من قبل الأجهزة المخابراتية الغربية , خصوصاً و أن طروحاته و إطلاقه للتعليمات قد أثارت جدلاً واسعاً بين الباحثين في مختلف حقول المعرفة ومنها التاريخ مما استوجب التوقف عند هذه الطروحات من منظور تاريخي لأهمية ذلك علمياً و عملياً .

برنارد لويس نشأته و تكوينه الفكري :

لعل من أهم ما أفرزته الحضارة الغربية هي فئة من المستشرقين الذين عنوا بدراسة المعطيات الحضارية التي أنجزتها بلدان المشرق . و في عالمنا المعاصر يتصدر برنارد لويس قائمة هؤلاء المستشرقين الذين كانوا قد تناولوا في أهم ما تناولوه دين الإسلام عقيدة وثقافة , و الذي أنضوت تحت لوائه أمة و حضارة [1] حتى كادت حضارة الاستشراق تمثل سلطة مارست قوتها بأساليب مختلفة اذ أنها مثلت قراءة العالم الغربي للعالم الشرقي[2] . ومن خلال الصلة بين الشرق و الغرب و بتنوع تلك الصلات ظهرت اتجاهات جديدة في الإستشراقلم تقف على دراسة الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية لبلدان المشرق بل تعدت الى عالم السياسة من اجل محاولة التعبير عن مصالح الغرب السياسية و الاستعمارية [3].

ولد برنارد لويس في لندن بتاريخ 31 / 5 / 1916 لأسرة يهودية . تلقى تعليمه الاول في كلية ولسن حيث أكمل دراسته الثانوية ثم تخصص بدراسة المشرق و الإسلام حيث حصل على شهادة الليسانس بمرتبة الشرف من جامعة لندن عام 1936 و دبلوم الدراسات السامية من جامعة باريس عام 1937 . وهذه المدة هي التي وجهت اهتمامه الى دراسة الفرق الإسلامية وحصل على الدكتوراه حول الإسماعيلية و الحشاشين من جامعة لندن عام 1939 [4].

بدأ لويس حياته الوظيفية بمدرسة الدراسات الشرقية و الأفريقية بجامعة لندن عام 1938و بعدها وقعت الحرب العالمية الثانية فأستدعي لأداء الخدمة العسكرية في الجيش البريطاني عام 1940 – 1941 ثم ارتبط في عام 1941 بوزارة الخارجية حتى عام 1945 حيث عاد بعدها الى مدرسة الدراسات الشرقية و الافريقية لتدريس التاريخ الاسلامي , و أصبح استاذاً لتاريخ الشرق الأدنى و الشرق الأوسط عام 1949 وكان عمره انذاك ثلاثة و ثلاثين عاماً . و بعد ثماني سنوات من التدريس عين رئيساً لقسم التاريخ ابتدءاً من تشرين الاول 1957 . وظل يرأس القسم حتى غادر لندن نهائياً للعمل في جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية استاذاً للتاريخ الإسلامي في قسم دراسات الشرق الأدنى ابتداءاً من أيلول 1974 وعمل خلال توليه منصب الأستاذية في جامعة لندن استاذاً زائراً للعديد من الجامعات الأوربية و الأمريكية[5].

بقي برنارد لوي استاذاً في جامعة برنستون حتى تقاعد رسمياً عام 1986 عند بلوغه سن السبعين بعدها عين مديراً لمعهد اشبرج للدراسات اليهودية و دراسات الشرق الأدنى ,وهو معهد يهودي متخصص لدراسة ما بعد الدكتوراه في مدينة فلاديلفيا الأمريكية [6].

اثاره العلمية و طروحاته الفكرية :

من الصعوبة بمكان حصر جميع المعطيات العلمية المتعددة لربنارد لويس لما إشتمله نشاطه العلمي على وسائل متعددة كالكتب و البحوث والدراسات و المحاضرات العامة في المؤتمرات و الندوات و تقديم الإستشارات السياسية و الأشراف على الرسائل الجامعية و غيرها[7].

وكنظرة تاريخية على مؤلفات و اهتمامات برنارد لويس نجد أنه أهتم في بداياته العلمية بالتاريخ الإسلامي ككل , وركز على الفرق الإسلامية و خاصة الإسماعيلية ثم عاد و درس التاريخ العثماني و التركي الحديث . و بعد عام 1967 برزت نزعاته الصهيونية تتضح و بدأ انتاجه عن اليهود و المعاداة للسامية , و ركز على الأصولية الإسلامية و الحركات السياسية الإسلامية [8].أما مقالاته فهي كثيرة و متنوعة فعلى سبيل المثال له مقال يشرح فيه أسباب كراهية العرب و المسلمين لأمريكا , فيعزوها لحسد العرب و المسلمين لقوة أمريكا و نفوذها . ومن خلال هذه الآراء التي بنى عليها أفكاره الجديدة و القديمة و التي ساعدت في نشرها مكانته العلمية و الأكاديمية و أصبحت أشبه بالمسلمات في الأوساط الغربية[9]. اتضحت اتجاهاته و ميوله الفكرية .

كتب برنارد لويس بحوثاً و مقالات عن علاقة اليهود بالإسلام و المسلمين في مراحل التاريخ الإسلامي , وجسد انتمائه للصهيونية من خلال دفاعه العنيف ضد قرار الأمم المتحدة عام 1976 بوصف الحركة الصهيونة حركة عنصرية . وقد أصدر بعد ذلك كتاب (الساميون – العداء للسامية) عام 1986 ليبحث بذور العداء العربي الإسلامي للسامية , فيزعم ان الأقليات اليهودية عوملت معاملة سيئة و لكنها لم تصل الى درجة معاداة السامية في المجتمعات الغربية[10].

و يلاحظ على برنارد لويس في كثير من المواقف أنه يمتدح إسرائيل و يثني عليها و يدافع عنها , وينفي أي نقد يمكن أن يوجه اليها و يوحي بتقديم كل الدعم الفكري لها وإزالة العوائق التي تعتري الطريق[11].

وفي كتابه (أزمة الإسلام) يقول (.... اذن هي القوة المحبة للحرية و السلام في منطقة الشرق الأوسط , و المتعاطفة مع الولايات المتحدة الأمريكية , وتشارك الأمريكيين قيمهم و تقرر نمط حياتهم) ثم يؤكد أنه ليس من السهل مساعدة هذه القوة (و لكننا على الأقل يجب أن لا نقف عائقاً في وجهها اذا ما نجحت , سيكون لنا أصدقاء و حلفاء بالمعنى الحقيقي لهاتين الكلمتين و ليس فقط بالمعنى الدبلوماسي)[12]. برنارد لويس المثقف الملتزم في المعركة السياسية و صاحب الوجهين , فهو الجامعي البريطاني المقيم في الولايات المتحدة منذ عام 1964 والخبير المعروف في الشؤون التركية بعد افول نجم الهيمنة البريطانية في الشرق الأوسط

لتصبح الولايات المتحدة الوريث الطبيعي لحماية المصالح الغربية في المنطقة . وجد لويس مكانه الطبيعي في الولايات المتحدة حيث مركز التأثير في صناعة القرار الغربي في الشرق الأوسط فذهب للعمل بجامعة برنستون عام 1974 وفي أعقابها حصل على الجنسية الأمريكية عام 1982[13]. و بقي الرجل يمارس نشاطه العلمي و السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية حتى غدا في مطلع القرن الحادي و العشرين مستشاراً مسموع الرأي ومقرباً من جماعة المحافظين الجدد , وهذا ما عبر عنه (أوليفر مايلز) المستغرب البريطاني في الملحق الأسبوعي لصحيفة (الكارديان) البريطانية بتاريخ 17/ 7/ 2004 , حتى تعززت مكانته أكثر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 اذ تكالب عليه المسؤولون و السياسيون فضلاً عن الصحف و المجلات [14].

رؤية برنارد لويس ومخططه لتفتيت العالم الإسلامي :

يرى برنارد لويس أن أكبر ما يهدد الوجود الاستعماري في فلسطين هو الإسلام بما أنطوى عليه من أمور عقائدية ترتكز على حرية الإنسان و ضرورة مقارعته للظلم و الفساد , فيرى لويس أن الإسلام يقف حجرة كأداة ضد هذا الوجود , فلا بد من مقارعته ومكافحته ويؤكد كبت المسلمين وإسكاتهم وإذلالهم شرط للتفاهم و التعامل مع العرب لأن عقليتهم المتعصبة بتمسكهم بقيمهم العقيدية الإسلامية حسب ما جاء بتعاليم الإسلام , تشكل أكبر عقبة في طريق السلام , فيقول : (ان أبن غوريون أول رئيس للوزارة في الكيان الصهيوني , أخشى ما أخشاه أن يظهر في العالم العربي (محمد) من جديد)[15].

و قد أدلى برنارد لويس بتصريح لوكالة الإعلام خلال مقابلته من قبل الوكالة بتاريخ 20 ايار 2005 (أن العرب و المسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون لا يمكن تحضرهم , و اذا تركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية تدمر الحضارات)[16].

فالإسلام من وجهة نظر اليهود يشكل خطراً على دولتهم المزعومة , فهم يرون أن أخطر ما يهدد مستقبل إسرائيل هو استيقاظ الروح الإسلامية من جديد . و من أجل التمكين للإستعمار الصهيوني لفلسطين ومحاولة اطالة وجوده الى الأبد قام المستشرقون اليهود بإعداد الدراسات التي تضمن لهم تحقيق هذه الغاية , ومن أخطر الدراسات التي ظهرت في هذا المجال هي تلك الدراسة الخطيرة التي تنطوي على مخطط لتفتيت العالم الإسلامي و تفكيك الأمة الإسلامية و تحويلها الى ركام من الطوائف و الملل و النحل و المذاهب و الأقوام , لضمان العلو الإسرائيلي و هيمنة اليهود ليس فقط على فلسطين و إنما على بلاد العرب و عالم الإسلام [17].لقد صرح جورج دبليو بوش أن الاستقرار يعدً عثرة في طريق المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط , و بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر سعت الإدارة الأمريكية نحو سياسة عدم الاستقرار البناء بسبب الاعتقاد بأن حماية المواطنين المصالح الأمريكية يتم عبر تغييرات أساسية في أنظمة الشرق الأوسط , وبما أن أي تغيير يؤدي حتماً الى مرحلة انتقالية غير مستقرة, يتعين على الولايات المتحدة قبول درجة من الفوضى في الشرق الأوسط من أجل أن تكون الطرف الأقوى القادر على توجيه هذه (الفوضى الخلّاقة)لمصلحتها بسبب عدم وجود منافسين دوليين وإقليمين لها يعتريهم [18] .

لقد استهدف برنارد لويس في مخططه تفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية و الإسلامية جميعاً كلاً على حدة , وتفتيت كل منها الى مجموعة من الدويلات العرقية و الدينية و المذهبية و الطائفية حيث ستشلها هذه الخلافات لتنتهي الى صراع على الحكم و النفط و المياه و الحدود[19] .

ان مخطط لويس هذا و الذي صاغه و نشرته مجلة

(Executive Intelligence Research Project)

في حزيران 2013 و التي تصدرها وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)[20] , هذا المخطط لا يرى إلا الصراع و هو يريد تفتيت الأقوام الى دويلات ليس لها أدنى مقومات الدول , كل ذلك لحساب جعل الطوائف اليهودية التي لا تجمعها روابط الأمة الواحدة هي المهيمنة على وطن العروبة و عالم الإسلام . هذا ما يفصح عنه لويس أن جميع هذه الكيانات لن تكون فقط غير قادرة على أن تتحد بل سوف تشملها خلافات لا انتهاء لها , وأن كل كيان منها سيكون أضعف من إسرائيل التي ستضمن تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل[21] .

رؤية برنارد لويس في (سايكس بيكو) جديدة :

صرح (زبينغوبريجنسكي) في عام 1980 عندما كانت الحرب العراقية - الإيرانية مستعرة (أن المعضلة التي ستعانيها الولايات المتحدة منذ الان هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش تلك الحرب التي حدثت بين العراق وإيران , و تستطيع أمريكا من خلالها تصحيح حدود اتفاقية (سايكس بيكو) وهي الإتفاقية التي عقدت بين بريطانيا و فرنسا إضافة الى روسيا القيصرية عام 1916 لتعديل حدود الوطن العربي .

و عقب اطلاق هذا التصريح من وزارة الدفاع الأمريكية(البنتاغون) بدأ (المؤرخ المتأمرك) برنارد لويس وضع مشروعه الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية الإسلامية ومنها العراق و سوريا و لبنان و مصر و السودان وإيران و تركيا وأفغانستان و باكستان و السعودية و دول الخليج و دول المغرب . و قد أرفق بمشروعه المفصل مجموعة من الخرائط المرسومة تحت إشرافه و تشمل جميع الدول العربية الإسلامية المرشحة للتفتيت بوحي من مضمون تصريح بريجنسكي .

و في جلسة سرية عقدها الكونغرس الأمريكي عام 1983 وافق على مشروع الدكتور برنارد لويس , وبذلك تم تقنين هذا المشروع واعتماده و إدراجه في حلقات السياسة الأمريكية الإستراتيجية لسنوات مقبلة[22] .

أن ما يمكن إدراكه عن هذا المستشرق أن أعماله منذ أواخر الخمسينات وعلى نحو أوسع مع انتقاله الى أمريكا تمخض عنها أهداف دفينة لخدمة الصهيونية في تحويل السياسة الأمريكية من المنهج الدبلوماسي إلى منهج عدواني فقط و متعجرف .

وفي تبرير سياسة ازدواج المعايير التي تمادت بها الولايات المتحدة الأمريكية و إدارتها إزاء الصراع العربي – الصهيوني في إقناع الرأي العام الأمريكي بأن سبب كراهية العرب لأمريكا ليس موقفها المساند ظلماً لإسرائيل وإنما هو شعور المسلمين بالحقد على الحضارة الغربية , وهذا أحد الدوافع التي يرتكز عليها أغلب المستشرقين في سعيهم و نشاطهم الفكري الإستشراقي[23] .

مخطط برنارد لويس التقسيمي :

1 – ضم إقليم بلوشستان الباكستاني الى مناطق البلوش في إيران و إقامة دولة بلوشستان .
2 – ضم الإقليم الشمالي الغربي من باكستان الى مناطق البوشتونيين في أفغانستان وإقامة دولة بوشتون ستان .
3 – ضم المناطق الكردية في إيران و العراق و تركيا و إقامة دولة كردستان .
4 –اقتطاع المناطق الكردية و البلوشية من إيران و إقامة الدويلات التالية :
أ –إيرانستان**ب** – دولة تركمستان**ج** –دولة أذربيجان **د** – دولة عربستان .
5 – إنشاء ثلاث دول العراق و هي[24] .
أ – دولة كردية سنية في الشمال **ب** – دولة سنية عربية في الوسط **ج** – دولة شيعية عربية من الجنوب
6 – إقامة ثلاث أو أربع دول في سوريا وهي :
أ – دولة الدروز في الجولان و لبنان. **ب** – دولة علوية شيعية. **ج** – دولة سنية في دمشق .
7– تقسيم الأردن الى كيانين وهي :
أ – دولة للبدو . **ب** – للفلسطينيين من غير إشارة الى الضفة الغربية للأردن التي ستضمها إسرائيل .
8– المملكة العربية السعودية و يتم إعادتها الى الفسيفساء القبلية التي كانت قبل إنشاء المملكة عام 1933 حيث سوف لا يكون لها وزناً مثل الكويت و البحرين و قطر وهي :
أ – دولة الإحساء الشيعية **ب** – دولة نجد السنية . **ج** – دولة الحجاز السنية .
9– لبنان
أ – دولة مسيحية . **ب** – دولة سنية في الشمال . **ج** – دولة علوية في سهل البقاع .**د**– دولة درزية .
10– تقسيم مصر الى دولتين
أ – دولة اسلامية . **ب** – دولة قبلية .
11– فصل جنوب السودان عن شماله
أ – دولة زنجية مستقلة في الجنوب . **ب** – دولة عربية في الشمال .
12– يعاد النظر في الجغرافية السياسية للمغرب العربي بحيث تقام للبربر أكثر من دولة حسب التوزيع و الانتماء القبلي .
13– يعاد النظر في الكيان الموريتاني من خلال الصراع القائم من العرب و الزنوج المولوين[25].

لقد تعرض برنارد لويس نظراً لما طرحه من أفكار و اراء في التاريخ و الفكر الإسلاميين الى العديد من النقد و النقاش في الكتابات العربية و الإنجليزية بسبب ما يقال عن ميوله المتعاطفة مع اليهود و الصهيونية . و هنا نورد بعض اراء المؤرخين الذين أعطوا ارائهم به و بمنهجيته[26] .

فيذكر المفكر و المؤرخ محمد اركون أن لويس واحد من أهم المستشرقين في العالم الإنجلو–سكسوني , ولا أحد يستطيع أن يشكك في حجم معرفته وأتساع معلوماته و إطلاعه العميق على عدة لغات , فهو يتقن لغات شرقية كالعربية و الفارسية و التركية و ربما الأردو و هي لغة مسلمي الباكستان و الهند , إضافة الى اتقانه اللغات الأوربية الأساسية الإنجليزية و الفرنسية و الألمانية وقليل من الروسية , و بالتالي فهو يستطيع أن يطلع على البحوث الإستشراقية المكتوبة في كل هذه اللغات . فهو باحث أكاديمي من طراز رفيع , وهذا لا يعني أنه منزه من الخطأ , و لا يمكن التسليم بكل ارائه و إطروحاته , ولا بد للقارئ أن يقرأ له بيقظة وذكاء وحذر .
ينتمي لويس الى ما يمكن أن ندعوه الأستشراق الكلاسيكي , وهذا يعني أن الكثير من المنهجيات الحديثة لا تدخل ضمن دائرة اهتماماته . أنه يعتقد أن المنهجية الوصفية تكفي للإحاطة بالمظاهرة المدروسة , و يعتقد أن النقد و التفكيك و التحليل يضمن في الدراسة الوصفية إذا ما تم القيام بها بشكل جيد الوصول الى نتائج جيدة[27] .

و يلاحظ أن لويس لا يلج معرفياً الى حد عميق في دراسته للإسلام , ويعد ذلك من اختصاص المسلمين , و ليس له الحق كمستشرق أجنبي أن يفكك المادة المدروسة , فهو دارس حيادي وصفي خارجي , لكن ذلك لا يمنعه من إطلاق أحكام مسبقة و غير علمية على الإسلام و المسلمين[28] .

أما الدكتور مازن صلاح مطبقاني فقد تناول لويس بقوله لأنه أبرز المستشرقين المعاصرين و أخطرهم , فقد رصد كل سمومه الإستشراقية وفضح أهدافه الصهيونية وأماط اللثام عن الكثير من أخطائه و دسائسه و انتمائه الديني و الفكري , وتتبع أساليبه التي عالج بها الجوانب الفكرية من التاريخ الإسلامي)[29] .

و يرى المفكر التونسي محمد شريف فرجاني بان لويس يرى الإسلام بأنه دين عنف من أساسه , وهو قائم على الجهاد و القتال و تقسيم الأرض المسكونة الى دار الإسلام ودار الحرب[30] .

و يذكر المفكر الفلسطيني الأصل و الأمريكي الجنسية إدوارد سعيد أن لويس يتمتع بمكانة بارزة في المجال السياسي للمؤسسة الأنجلو أمريكية المختصة بالشرق الأوسط .... و لكن عمله على امتداد عقد و نصف العقد على الأقل كان يتميز بنزعة أيدلوجية عدوانية , على الرغم من محاولاته لإخفاء ذلك بالحذف و السخرية , وفي بعض الأحيان يستخدم أسلوب الإيحاء و التلميح خاصة فيما يصدره عن الإسلام[31] .

برنارد لويس و نظرية صدام الحضارات :-

لم يكن لويس يؤمن بفكرة تعايش و تلاقح الحضارات بل أنه ومن خلال أفكاره و طروحاته و نزعاته يؤمن بالفكرة المعاكسة وهي فكرة أو نظرية صدام الحضارات .

استخدم لويس مفهوم (صدام الحضارات) لأول مرة سنة 1964 حيث كتب أن أزمة الشرق الاوسط لا تنبع من مجرد خصومة بين الدول , بل صدام بين حضارتين , حيث يرزح الشرق الاوسط منذ قرن و نصف القرن تحت هيمنة الغرب السياسية و الاقتصادية و الثقافية[31] . و يذكر (الآنغراش) الكاتب بصحيفة (لوموند الفرنسية) أن لويس صاغ هذا المفهوم على العرب , فقال نحن غداة حرب السويس 1956 و الشرق الأوسط كله في حالة غليان و انتشار الفكر القومي العربي ولا يشكل الإسلام السياسي سوى تيار هامشي) فكان لويس يرى في إرادة الشعوب العربية و توقها الى التحرر من الوجود الغربي معطى سياسياً بل و عداءاً للثقافية الغربية[33] .

ان مفهوم صدام الحضارات سواء كان سنة 1957 أم سنة 1964 فهو مفهوم قديم يقارب عمره الخمسون سنة , و بعد مرور مالا يقل عن ثلاثين سنة من بروز فكرة صدام الحضارات , ورجع إليها لويس مرة أخرى عندما وصف في مقال نشره عام 1990 بعنوان (جذور الغضب الإسلامي) الصراع بين الإسلام و الغرب و الذي أدعى أنه يرجع إلى زمن ظهور الإسلام قبل أربعة عشر قرناً كمفهوم لـ (صدام الحضارات)[34] .

إن مستوى الصراع بين الإسلام و المسيحية كان عنيفاً على مدى التاريخ , وقد زاد هذا الصراع حدةً في القرن العشرين , وذلك لعدة أسباب منها أولاً : النمو السكاني للمسلمين . ثانياً : أهمية حضارتهم و قيمهم مقارنة بتلك التي في الغرب .

ثالثاً : أن جهود الغرب في جعل قيمهم و مؤسساتهم عالمية , و المحافظة على تفوقهم العسكري و التدخل في صراعات العالم الإسلامي خلقت إزدراءاً شديداً من المسلمين .

رابعاً : انهيار الشيوعية جعلت العدو المشترك للغرب هو الإسلام , و ترك كل واحد يرى الاخر مصدر تهديد له . لقد تطور الصراع في أعقاب الحرب الباردة , وكان لهذا التطور علاقة بالقيم العلمانية ضد القيم الدينية , وفي جزء منه له علاقة بالصراع التاريخي بين المسيحية و الإسلام , كذلك ازدراء من الهيمنة الغربية فيما بعد الاستعمار و التكوين السياسي للشرق الأوسط , وكذلك له علاقة بحرارة الإذلال المؤذي عند المقارنة بين الإنجازات الإسلامية و الحضارات الغربية في القرنين الأخيرين[35] .

إن نظرية المؤامرة الإسلامية و القطعية بين الحضارات أعطت مفهوماً للعالم أنه لم يعد هناك صراع الشرق/الغرب بين قوتين عظيمتين تنشطها الأيدلوجية المضادة , و لكن ثمة حرب بين حضارتين , حضارة متقدمة وأخرى تأخذ شكل البداية البربرية[36] .

وفي هذا السياق نفسه يذكر لويس في مقالة له : (ان الإسلام لا يعطى شيئاً ذي نفع و الضغينة تتحول الى غضب ضد الغرب , لكن النصر الأمريكي مؤكد)[37] .

لقد أصطبغ مفهوم (صدام الحضارات) منذ البداية , أي عندما صاغه برنارد لويس بصبغة عنصرية عرقية تستهدف الجنس العربي لأن العرب هم الذين نشروا الإسلام , فهم أصل البلاء حسب مفهومه , ولكن في البداية لم يلق اذاناً صاغية لانشغال المنظومة الرأسمالية ومفكريها في ستينات القرن الماضي بمكافحة الفكر الشيوعي و الاشتراكي , و لكن بعد انهيار الكتلة الشيوعية و أحزابها تفردت الولايات المتحدة بالسيطرة على العالم , ووجدت نظرية صدام الحضارات اذاناً مفتوحة لتقبلها و الدفاع عنها لأنها تخدم مصالح أشد الشرائح تطرفاً في الرأسمالية العالمية[38] .

الخاتمة

بعد أن تم تحليل و تفكيك اراء برنارد لويس كمستشرق وتحديد مساراته الفكرية و السياسية من خلال المنظور التاريخي للأستشراق و ارتباطاته بقضايا الأمة العربية و الإسلامية , فأنه يمكن التوصل الى جملة من الاستنتاجات الاتية :-

1 – على الرغم من تعدد أهداف الإستشراق (علمية , سياسية , اقتصادية , دينية , إستعمارية) إلا أنها جميعاً يمكن أن تعمل بوقت واحد سعياً لتحقيق الهيمنة , حيث أن دافع (الإستعمارية) يجمع الدوافع الأخرى تحته بما يحمله من سيطرة و هيمنة و احتلال .

2 – يرى لويس أن التحديث وأهم مظاهره (الديمقراطية) غير ممكن في العالم الإسلامي بسبب الدين و سيطرة اللاهوت الديني القديم على المجتمع , لكن ما يمكن قوله هنا أن الديمقراطية بشكلها الصحيح و النافع غير موجودة في المجتمعات المتخلفة عموماً , و ليس فقط تلك التي تتبنى الدين الإسلامي و أن التحديث ليس من الضروري أن يتم على منهج الخط العربي .

3 – أهتم برنارد لويس بدراسة العالم الإسلامي و فرقه الدينية و المذهبية وكان يرى أن العالم الإسلامي و الحضارة الإسلامية الممتدة من المحيط الأطلسي إلى أواسط اسيا تمتاز بطبيعة فسيفسائية ذات تنوع و تعدد عرقي و ديني و مذهبي و قومي , وأن هذه الكتلة تشكل خطراً على الغرب , لذلك طرح فكرة تمزيق الحضارة الإسلامية و التي تلاقفتها الإدارة الأمريكية خلال حقبة(المحافظين الجدد) و أطلقوا عليها (الفوضى الخلاقة أو البناءة) .

4 – يعد برنارد لويس الأب الروحي لصموئيل هنتنغتون صاحب نظرية صدام الحضارات , و التي تتضمن أن الصراع القادم سيكون بين الحضارة الإسلامية و الحضارة المسيحية و ليس بين الشرق و الغرب .

5 – تمثل الفوضى الخلاقة ذروة الأزمة التاريخية بين عالمي العرب و الإسلام و عالم الغرب , وأن الولايات المتحدة و هي الأقوى على توجيه هذه الفوضى لمصلحتها بسبب عدم وجود منافسين دوليين و إقليميين لها .

6 –إقتضت الضرورة توعية المجتمع العربي و الإسلامي لما تهدف إليه الولايات المتحدة الأمريكية , ومخطط برنارد لويس . ولما يعيشه الوطن العربي الآن من ظروف صعبة و فوضى مستشرية و حركات سياسية تغييريه و بما يطلق عليه بالربيع العربي ..

المصادر:-

(1)يوهان فوك , تاريخ حركة الإستشراق– ترجمة عمر لطف , ط2 , دار المدار الإسلامي , بيروت , 2001 , ص 8 .
(2)صلاح الجابري , تفكيك الإستشراق , ط1 , دار الكتب الوطنية , ليبيا , 2005 , ص 5 .
(3)مفيد الزيدي , قضايا العولمة و المعلوماتية في المجتمع العربي المعاصر , ط1 , دار اسامة للنشر , الأردن , 2003 , ص 44 .
(4)برنارد لويس و إدوارد سعيد , الإسلام الأصولي , ط1 , دار الجيل, بيروت , 1994 , ص 5 .
(5)انظر المصدر نفسه , ص 5 – 6 .
(6)المصدر نفسه , ص 5 .
(7)ماهر خميس , برنارد لويسwww.eltwhwed.comومن أجل الإطلاع على المنجزات العلمية لبرنارد لويس راجع الملحق .
(8)برنارد لويس , أزمة الإسلام , ترجمة عمار حامد , دار الرضا, 2006 , ص8 – 9.
(9)حمدي السكوت , برنارد لويس مرشد عام للمحافظين الجدد , مجلة العرب . العدد 558 , مايس 2005 , ص 20 .
(10)إنظر برنارد لويس , بحث – اليهود في ظل الإسلام – ترجمة أحمد بسام , دمشق , 1995 , ص 5 .
(11)جلال أمين, برنارد لويس– دليل الرجل الذكي, صحيفة الحياة, 27/ 2000/7,ص4.
(12) Bernard Lewis , The crisis of Islam : Holy war and unholy terror , Wieden Fold Nicolson , London , 2003 , P. 126 .
(13)برنارد لويس أين يكمن الخطأ – ترجمة عماد شيحة , ط1 , دار الرأي للنشر , دمشق , ص 160 .
(14)حمدي السكوت , مصدر سبق ذكره , ص 22 .
(15)إسماعيل على محمد , الإستشراق بين الحقيقة و التظليل, ط1 , دار الكلمة للنشر , بلا , 1999 , ص 62 .
(16)فتحي شهاب الدين , مخطط برنارد لويس لتفتيت العالم الإسلامي , مجلة الديار , العدد 7933 في 6/اذار/2011 , ص 5 .
(17)إسماعيل على محمد , مصدر سبق ذكره , ص 63 .
(18)ياسين الحاج صالح , السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط من الاستقرار الى (الفوضى الخلاقة) – حوار العرب,2005,ص76 .
(19)أحمد سعيد نوفل , دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي , ط1 , مركز الزيتونة للدراسات , بيروت , 2007 , ص 28 .
(20)المصدر نفسه , ص 28 .
(21)إسماعيل على محمد , مصدر سبق ذكره , ص 67 .
(22)فتحي شهاب , مخطط برنارد لويسwww.elaosbo.com .
(23)إنظر و إستنتج : محمد فتحي فرج بيومي , أزمة الإسلام , مجلة الوعي الإسلامي , عدد 532 في 2010/9/3 , ص 5 .
(24)محمد عمارة , المشروع الصهيوني لتفكيك العرب و المسلمين , صحيفة الشعب المصرية , عدد 1176 في 8 يوليو 1998 .
(25)إسماعيل على محمد , مصدر سبق ذكره , ص ص 65 – 66 .
(26)بغية الإطلاع على هذه الآراء أنظر:
برنارد لويس, الإسلام و الغرب , ترجمة فؤاد عبد المطلب , إتحاد الكتاب العرب , دمشق , 2007 , ص 10 .
(27)محمد أركون , الإستشراق بين دعائه ومعارضيه , ترجمة هاشم صالح , ط2 , دار الساقي , بيروت , ص ص 128 -129 .
(28)المصدر نفسه , ص 129 .
(29)مازن مطبقاني , منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي www.maincenter.com .
(30)هاشم صالح , كيف و أين يلتقي الإخوان المسلمون برنارد لويس, صحيفة الشرق الأوسط ,عدد 980, 28 سبتمبر 2005 , ص 4 .
(31)إدوارد سعيد, الإستشراق–المفاهيم الغربية للشرق,ترجمة محمد عنان, ط1,رؤية للنشر , القاهرة , 2006, ص ص 480 , 485 .
(32)محمد العربي بن عزوز , صدام الحضارات و نهاية التاريخ , ط1 , دار النهضة , 2009 , ص 15 .
(33)المصدر نفسه , ص ص 15 – 16 .
(34)زكاريلوكمان,تاريخ الإستشراق و سياساته–الصراع على تفسير الرشق الأوسط , ط1 , دار الشروق , القاهرة 2007 , ص 369 .
(35)انظر المصدر نفسه , ص 369 .
(36)لويس أين يكمن الخطأ ؟ – مصدر سبق ذكره , ص 168 .
(37)المصدر نفسه , ص 172 .
(38)انظر : محمد العربي , مصدر سبق ذكره , ص ص 22 – 27 .

(ملحق)

نتاجات برنارد لويس

مؤلفاته :

أ – في التاريخ الإسلامي :-

1 – العرب في التاريخ / مترجم الى العربية 1950 .

2– الإسلام في التاريخ / لندن 1973 .

3– أصول الإسماعيلية / مترجم الى العربية 1940 .

4– الحشاشون فرقة ثورية في الإسلام / مترجم الى العربية .

5– النقابات الإسلامية .

ب– في تاريخ العثمانيون و الدولة التركية الحديثة :-

1 –إسطنبول و حضارة الخلافة الإسلامية / مترجم الى العربية و اليونانية و العبرية و اليابانية1963 .

2–ملاحظات ووثائق من الأرشيف التركي / لندن 1952 .

3–تركيا اليوم 1940 .

4–انبثاق تركيا الحديثة .

5–دراسات في الإسلام و العثمانيون من القرن السابع الى القرن السادس عشر .

6– تركيا و التغريب .

7– الرجال و النساء و التقاليد في تركيا .

ج–اليهود و القضية الفلسطينية :-

1 – اليهود في ظل الإسلام / مترجم الى العربية .

2– مصدر يهودي عن دمشق بعد الفتح العثماني / 1940 / 1942 .

3– الحرب العربية الإسرائيلية : عواقب الهزيمة .

4– الساميون و المعاداة للسامية / مترجم الى العربية .

د–علاقة الإسلام بالغرب :-

1 –الإسلام و الغرب / مترجم الى العربية .

2– الشرق الأوسط و الغرب .

3– تاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية 1941 .

4–إكتشاف المسلمين لأوربا / مترجم الى العربية .

هـ–الفكر السياسي الإسلامي :-

1 –لغة الإسلام السياسي / مترجم الى العربية .

2–أين يكمن الخطأ / مترجم الى العربية .

3–أزمة الإسلام .

4–من بابل الى المترجمين – تحليل للشرق الأوسط / 2004 .

من أبحاثه في مدرسة الدراسات الشرقية و الأفريقية :-

1 – تفسير إسماعيلي لخروج آدم من الجنة / 1937 / 1939.

2– مذكرات إسماعيلية 1948.

3– سفر الوحي و أثره في التاريخ الإسلامي 1950 .

4– صلاح الدين و الحشاشين 1953 .

5– رواية عربية عن صفد 1953 .

6– الإسلام و أوربا 1957 .

7– ترجمة حياة جوزيف شاخت 1970.

ومن أبحاثه الأخرى :

1 – التنظيم الاقتصادي – مجلة التاريخ الإسلامي 1937 .

2– رواية عربية عن ثورة بلاط بيزنطة 1936 .

3– الفاطميون و طريق الهند / مجلة كلية العلوم الاقتصادي 1949 / 1950 .

4– مصادر لتاريخ الحشاشين في سوريا 1952.

5– الشيوعية و الإسلام / الشؤون الدولية 1954 .

6– مفهوم الجمهورية في الإسلام / 1955 .

7– كتاب إسماعيلي / مجلة الجمعية الملكية الاسيوية 1955.

8 – الديمقراطية و الشرق الاوسط / جمعية الشرق الأوسط / 1952 .

9–رد الشرق الأوسط عن الضغط السوفيتي 1956 .

10–المسعودي و ملوك الفرنجة 1960.
11– الإسلام و أوربا و أمريكا / 1961 .
12–الميمونيون و صلاح الدين 1964 .
13– كمال الدين أرابيكا /1966.
14– العرب و إسرائيل و فلسطين/ الشؤون الخارجية / 1967 .
15– جغرافية الشرق الأوسط .
16– الإسلام – الأندلس / 1968.
17– الإسلام و الثورة – الثورة في الشرق الأوسط / 1972.
18– من تاريخ شمال أفريقا / مجلة الغرب المسلم و البحر المتوسط / 1973 .
19– المصطلحات السياسية في العربية / 1974.
20– زراعة الحبوب في اليمن 1974 .
21– جنوب الجزيرة العربية / 1976 .
22– النمو و الثقافة في إيران الإسلامية 1967.
23– جذور السخط الإسلامي / أتلانتيك الشهرية / 1990 .